كفروا وكلا تبرنا تتبيرا ومنهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قيل وعلى هذا القول لا يمكن القطع على مقدار
السنين من لدن آدم الى هذا الوقت لانه ان امكن ذكره لم يستبعد تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى حكى عن
هؤلاء الاقوام المذكورة انه لما جاءتهم رسلهم بالبينات والمعجزات الى امور اولها قوله فردوا ايديهم في افواههم وثانيها
قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به وثالثها قولهم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه وذكر المص فيه ثلث احتمالات الاول انهم اي الكفار
ردوا ايديهم في افواه انفسهم والثاني ردوا ايدي انفسهم في افواه الانبياء والثالث انهم ردوا ايدي الانبياء في
افواه الانبياء على ان الايدي بمعنى الايادي اي على ان يكون الايدي جمع يد بمعنى النعمة كالايادي وان كان
اكثر استعمال الايدي في الجوارح وذكر في الاحتمال الاول بيانا لوجه الاول ان يكون ردا الايدي الى الافواه
عبارة عن عضها غيظا من شدة نفرتهم من رؤية الرسل او من استماع كلامهم والثاني ان يكون عبارة عن وضعها على
الافواه اما لانهم لما سمعوا كلام الانبياء وتعجبوا منه غاية التعجب حملهم ذلك على ان وضعوا ايديهم في افواههم
او لانهم لما سمعوا غلب عليهم الضحك على سبيل السخرية والاستهزاء فوضعوا ايديهم على افواههم كما يفعل من غلبه الضحك
او لانهم لما سمعوه وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء ان كفوا عن هذا الكلام واسكتوا والثالث ان
يكون عبارة عن الاشارة بايديهم الى جوابهم الذي قالوا بالسنتهم وهو قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا الذي
نتفوه بافواهنا فعدل المص الى السنتهم ترجمة لقوله وما نطقت به والمراد اشارتهم الى كلامهم ثم ان
يكون اشارتهم بايديهم الى ان هذا هو الجواب لان قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به معطوف على قوله بالواو
وعطف قوله فردوا على جاءتهم بفاء التعقيب لا يرجح احد الاحتمالين لانه انما يدل على انه لما جاءتهم بالبينات
ما امهلوا بل عقبوا بالتكذيب والانكار ولا دلالة فيه على تعيين الاشارة على الجواب ونا... واشار الى الاحتمال
الثالث بقوله او ردوها في افواه الانبياء والى الثاني بقوله وقيل اه وعلى هذا يحمل الكون تمثيلا بان شبه الله
الحاصلة من دعوة الانبياء اياهم الى التوحيد والايمان باظهار المعجزة والبرهان ورد هؤلاء ما سمعوا منهم ردا
داوا الحق الرد والانكار بالهيئة الحاصلة من مباشرة احد بان يتكلم بمراده ويمنعه الاخر عنه بان يضع يده على فم
صاحبه يحمله على السكوت فاذا الايدي ولا فم هناك قوله الايدي يعني الايادي فانا يعني الايادي لان الايادي
غلب في النعم والايدي في الجوارح فان قيل ... عمران ... مني ايادي لم تمنن وان هي جلت قلت
اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه اشارة الى ان رد الايدي الى الافواه قيل
على ان يكون المراد ردوا ايادي الانبياء الى افواههم لامتناع رد احكام الانبياء وشرائعهم الى افواههم حقيقة
فوجب حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية على نحو ما ذكرنا بان شبه رد الكفار مواعظ الرسل ورد الكلام الخارج ...
وقيل ردوا ايديهم اي مواعظهم في افواههم قوله على زعمكم يعني ان المراد انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم به
انما قال ذلك لانهم لا يعترفون بانهم ارسلوا قوله موقع في الريبة ورابت منه ما تكرهه وقوله ذي ريبة على ان
يكون من اراب الرجل بمعنى صار ذا ريبة قيل قولهم وانا لفي شك بعدما قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به يشكل لان

لان الشك ينافي الجزم بالكفر بقولهم انا كفرنا سيما وقد اكدوا كفرهم بان واجيب بان الواو ههنا بمعنى او اي احد الامرين
لازم وهو الكفر برسالتكم جزما وان لم نرجع هذا الجزم واليقين فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين في صحة
نبوتكم وعلى التقديرين لا سبيل الى الاعتراف بنبوتكم ويندفع الاشكال راسا بان يقال محقق الكفر والجزم برسالتكم
في نبوة قوم وفي صحة ما دعاهم اليه لان الشاك لا ايمان له فيكون كافرا قطعا كالمنكر فيكون قولهم
وانا لفي شك بعد تحقق كفرهم بقولهم انا كفرنا لان طريقهم هو الشك دون الانكار قوله ادخلت همزة
الانكار على الظرف مع ان الظاهر ان يقال اشك في الله لان تقديم الظرف يوهم الاختصاص فيكون مدلول الكلام
انكار تحقق الشك في الله واثبات تحققه في غير الله ولا شك ان اثبات الشك في غير الله ليس بمقصود من الاية وانما المقصود
نفي الشك في الله تعالى والعبارة المؤدية لهذا المعنى هي ان يقال أشك في الله فلم قدم الظرف وادخلت
همزة الانكار عليه فحاصل الجواب ان تقديم الظرف ليس للاختصاص بل للاهتمام فان الكلام في المشكوك فيه
لا في نفس الشك لان الشك موجود لا محالة فلا وجه لانكاره وانما المنكر ثبوته في الله تعالى فكان الاهم من
الشك والمشكوك فيه هو المشكوك فيه فلذلك قدم الظرف واستلزم ذلك دخول الهمزة عليه قوله وشك مرتفع
بالظرف لاعتماده على حرف الاستفهام ولا تكونه مرفوعا بالابتداء وكون الظرف المتقدم خبره لانه يستلزم الفصل
بين الصفة والموصوف باجنبي وهو المبتدا بخلاف الفاعل فان الفاصل حينئذ لا يكون اجنبيا لانه فاعل والفاعل
كالجزء من رافعه وكون فاطر السموات عطف بيان اقرب من كونه بدلا لان ابدال المشتق قليل قوله يدعوكم الى
ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة قدر في الاول مفعولا به وهو قوله الى الايمان فيكون اللام في قوله ليغفر لكم
تعليلا وعلى الثاني اقام المفعول له مقام المفعول به وجعل المغفرة مدعوا اليها لا باعتبار كون اللام بمعنى الى فانه
من ضيق العطن بل لان معنى الاختصاص ومعنى الانتهاء كلاهما واقعان في حاق الموقع فكانه قيل يدعوكم الى
المغفرة لاجلها لا لغرض اخر فالمدعو اليه هو المغفرة باعتبار كونها غرضا من الدعوة وحقيقته ان الاغراض غايات
مقصودة تفيد معنى الانتهاء وزيادة هي كون المنتهى اليه مطلوبا لان الشيء مطلوبا كذلك قوله ويؤخركم
الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر اعماركم اي لا يعاجلكم بالعذاب بل يؤخركم ويمتعكم في الدنيا الى الاجل المسمى ان امنتم
والا عاجلكم بعذاب الاستيصال وقال ابن عباس المعنى يمتعكم في الدنيا باللذات والطيبات الى الموت اي يؤخركم في الحياة راحة
الى الموت والا عجلتم بالعذاب والمص اختار الاول فان قيل اليس انه تعالى قال فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال
ههنا يؤخركم الى اجل مسمى والجواب ... بقوله يؤخركم الى اجل مسمى الاجل المسمى على تقدير الايمان والطاعة
ويدل عليه ما رواه الواحدي في الوسيط في تفسير سورة الانعام ... ابن عباس ان الله تعالى قضى لكل نفس اجلين
من مولده الى موته ومن موته الى بعثه فاذا كان صالحا واصلا لرحمه زاد الله له في اجل الحياة من اجل الممات الى
البعث واذا كان الرجل غير صالح ولا واصل رحمه نقصه الله من اجل الحياة وزاد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما
يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب انتهى كلام الوسيط ولا يلزم منه ان يكون للانسان اجلان كما ذهب اليه المعتزلة

Copyright © King Saud University